

موقف الإسلام من الشعر

مهدي ممتحن*

عبدالقادر إكرامى**

الملخص

قد تحرى الفصحاء والبلغاء قديما و حديثا فى إبداء اتجاهاتهم الفكرية و تحليلية رؤسهم المخبوءة فى قالب الشعر لما للشعر من جرس و موسيقى تجعله أبلغ تأثيرا على الفكر والوجدان و أكثر استجابة للحفظ، و أسرع مخامرة للنفس، و أقوى لصوقا بالقلب.

و لا ترتبط ظاهرة الشعر بالحضارة، بل كانت موجودة عند كل الأمم، فالشعوب البدائية كان لها شعر أيضا، و لكن العرب بظفرتهم مطبوعون على الشعر لبدواتهم و ملاءمة بيئتهم لتربية الخيال لأن الشعر فن فيه ذوق و فكر و عاطفة و سمو خيال و إمتاع لنفس فكان العرب يبادهون بالشعر و يروونه و يستثيرون به الهمم فى الغزوات والحروب، و يستعينون بفحول الشعراء لما جربوا من وقع الشعر و تأثيره فى شحد الهمم و إثارة الغيرة.

الكلمات الدليلية: الشعر، الشاعر، الإسلام، القرآن، الحديث، النبى.

*. أستاذ مشارك بجامعة آزاد الإسلامية فى جيرفت (دانشيار دانشگاه آزاد اسلامى - واحد جيرفت).

** . كاتب و باحث (نويسنده و پژوهشگر).

لَمَّا جاء الإسلام كان الشعر مرآة الحياة العربية في شتى نواحي الحياة، و ديوان علومهم و حكمهم و سجل وقائهم و سيرهم، فبقيت مكانة الشعر و منزلته بعد الإسلام على ما كانت عليها في الجاهلية. والإسلام لم يهجن و لم يحط الشعر من حيث هو شعر و لم يقلل قيمته. بل إنما هاجم شعرا فيه من المعاني التي يتنافى أهداف الدعوة و معالمها. روى عن النبي (ص) أنه قال: «الشعر بمنزلة الكلام: حسنه كحسن الكلام، و قبيحه كقبيح الكلام». (البخارى، ١٣٧٥ هـ. ش، صص ٢٢٣-٥٦٨)

الأدلة على جواز إنشاد الشعر والاستماع إليه

كان الرسول (ص) يستمع إلى الشعر و يتذوقه، و يثيب عليه. و يكرم الشاعر و يدعو له متى ما وجد في شعره صلاحا كما فعل مع النابغة الجعدي حين أنشده قصيدته التي مطلعها (القرشي، ٢٠٠٣ م، ص ٢٤٠):

خليلٌ عوجا ساعة، و تهجرا
ولو ما أحدث الدهر أوزرا

عوجا: أمر من عاج يعوج: رجع و عاج بالمكان: أقام. تهجرا: أمر من تهجر: سار في الهاجرة، أي: في حر الشمس وسط النهار. ذرا: من وذر يذر: ترك.
و يقول فيها:

أتيتُ رسول الله إذ جاء بالهدى
المجرة: مجموعة من النجوم الصغيرة ينتشر ضوءها فيرى كأنه بقعة بيضاء.
فلما انتهى إلى هذا البيت:

و لا خير في حلم إذا لم تكن له
و لا خير في جهل إذا لم يكن له

بوادر: جمع بادرة: الغضبة السريعة. يريد أنه لا خير في حلم إذا لم تكن لصاحبه غضبات تحفظ على صاحبه كرامته.

الجهل: الغضب، و إيراد الأمر و إصداره: الدخول في أمر والخروج منه.

قال له النبي (ص): «لا ينفض الله فاك». فعاش ثلاثمائة سنة لم تسقط له سن حتى



مات. (العسقلاني، لاتا، ج ٦، ص ٣١١؛ وابن عبدربه، ١٩٨٣م، ج ١، ص ٨٧)

وكان بجير بن زهير أسلم قبل أخيه كعب، وشهد مع رسول الله (ص) فتح مكة، وكان أخوه كعب أرسل إليه ينهاه عن الإسلام، فبلغ ذلك النبي (ص)، فتواعده فبعث إليه بجير يحذره، فأتى كعب إلى رسول الله (ص) ووضع يده في يد الرسول ثم قال: يا رسول الله إن كعب بن زهير لقد أتى مستأمنًا تائبًا أفئؤمنه فأتيك به؟ قال: هو آمن. فحسر كعب عن وجهه وقال: بأبي أنت و أمي يا رسول الله، هذا مكان العائذ بك، أنا كعب بن زهير، فأمنه رسول الله (ص) وأنشد كعب قصيدته التي يقول فيها بعد تغزله، وذكر شدة خوفه ووجهه:

أنبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمولٌ
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلةً القرآن فيها مواعيطٌ وتفصيلٌ
لا تأخذني بأقوال الوشاة و لم أذنب ولو كثرت في الأقاويلُ

فلم ينكر عليه النبي (ص) قوله و ما كان ليوعده على باطل، بل تجاوز عنه و وهب له برده، فاشتراها منه معاوية بثلاثين ألف درهم. (ابن قتيبة، ٢٠٠٣م، ج ١، صص ١٥٣-١٥٥)
و كان رسول الله (ص) يستنشد الشعر، كما روى أنه قال لبعض من حضر مجلسه:
أنشدني كلمتك التي تقول فيها:

وحي جميع الناس تسب عقولهم تحيتك الأدنى فقد ترفع النغل

(القرشي، ٢٠٠٣م، ص ٢٨٠)

النغل: الفساد أو العفن يكون في الجرح و غيره، المراد: الإفساد بين القوم.

فإن أظهروا بشراً فأظهر جزاءه وإن ستروا عنك القبيح فلا تسل

فإن الذي يؤذيك منهم سماعه وإن الذي قد قيل خلفك لم يقل

و يقول الشريد بن سويد الثقفي: كنت ردفا لرسول الله (ص) فقال لي: «أمعك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء» قلت نعم، قال: «فأنشدني» فأنشدته بيتا، فلم يزل يقول لي كلما أنشدته بيتا: إيه. حتى أنشدته مائة بيت. (ابن حنبل، لاتا، ج ٤، ص ٣٨٩)
و إن الرسول (ص) كان يعجب بالشعر و يقول حين يسمع بعض روائعه: «إن من البيان



لسحرا و إن من الشعر حكما أو حكمة»، (البخارى، ١٣٧٥ هـ. ش، ص ٢٢٢-٨٥٨؛ الترمذى، لاتا، ح ٢٨٤٥) و يصدق قائله إن كان مصيبا. كما يقول فى لبيد: «أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل». (مسلم، ١٩٩٥م، ج ٨، ص ١٥)

و واضح أن الرسول (ص) كان يحفظ بعض الشعر، إذ تضمنت خطبة قس بن ساعدة التى رواها عنه الرسول (ص) - كما يقول الجاحظ - بعض الحكيمية. (الجاحظ، لاتا، ج ١، ص ٢٠٧-٢٠٨)

واتخذ الرسول (ص) الشعر سلاحا ماضيا ضد خصومه من مشركى قريش و أعداء رسالته. و حض شعراء المسلمين مثل حسان بن ثابت، و كعب بن مالك، و عبدالله بن رواحة. روى بسند صحيح أن رسول الله (ص) قال: «اهجوا قريشاً. فانه أشد عليها من رشق بالنبل، فأرسل إلى ابن رواحة فقال: «اهجهم» فهجاهم فلم يرض. فأرسل إلى كعب بن مالك. ثم أرسل إلى حسان بن ثابت. فلما دخل عليه، قال حسان: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه ثم أدلع لسانه فجعل يحركه. فقال: والذي بعثك بالحق لأفرينهم بلسانى فرى الاديم، فقال رسول الله (ص): «لا تعجل. فإن أبابكر أعلم قريش بأنسائها. و إن لى فيهم نسباً. حتى يلخص لك نسبى» فأتاه حسان. ثم رجع فقال: يا رسول الله (ص) قد لاخص لى نسبك. والذي بعثك بالحق لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين.

قالت عائشة: فسمعت رسول الله... يقول لحسان: «إنّ روح القدس لا يزال يؤيدك، ما نافحت عن الله و رسوله».

و قالت: سمعت رسول الله (ص) يقول: «هجاهم حسان فشفى واشتفى».

قال حسان:

هجوَتَ محمداً فأجبتُ عنه	و عندالله فى ذاك الجزاءُ
هجوَتَ محمداً برّاً تقيّاً	رسول الله شيمته الوفاءُ
فإن أبى و والدهُ و عرضى	لعرض محمد منكم وقاءُ
ثكلت ببنتى إن لم تروها	تثير النقع من كنفى كداءُ

يبارين الأعنة مصعدات
تظل جيادنا متمطرات
فإن أعرضتمو عنا اعتمرنا
و قال الله: قد أرسلت عبداً
و قال الله: قد يسرت جنداً
لنا في كل يوم من معد
فمن يهجو رسول الله منكم
و جبريل رسول الله فينا
على أكتافها الأسل الظماء
تلطمهن بالخمير النساء
وكان الفتح وانكشف الغطاء
يقول الحق ليس به خفاء
هم الأنصار عرضتها القاء
سياب أو قتال أو هجاء
و يمدحه و ينصره سواء
و روح القدس ليس له كفاء

(مسلم، ١٩٩٥م، ج ٨، صص ٢٨٦-٢٨٧)

و بلغ رسول الله (ص) أن قوما نالوا أبا بكر بالسنتهم، فصعد المنبر، فحمد الله و أنثى عليه، ثم قال: «أيها الناس! ليس أحمد منكم أمنَّ عليَّ ذات يده و نفسه من أبي بكر، كلكم قال لي: كذبت، و قال لي أبو بكر: صدقت، فلو كنت متخذاً خليلاً لا اتخذتُ أبا بكر خليلاً» ثم التفت إلى حسان فقال: «هات ما قلتَ فيَّ و في أبي بكر»، فقال حسان: قلت يا رسول الله:

إذا تذكرت شجواً من أخ ثقة
التالي الثاني المحمود شيمته
والثاني اثنين في الغار المنيف وقد
و كان حب رسول الله، قد علموا
خير البرية أتقاهها و أرأفها
فقال رسول (ص): «صدقت يا حسان، دعوا لي صاحبي». قالها ثلاثاً. (القرشي،

٢٠٠٣م، ص ٢٨٥)

أدلة المخالفين والرد عليهم

إن بعض الناس والكتاب المنتصرين للنشر يضعون أسئلة بين أيدينا و يحتجون بآيات

قرآنية و لأحاديث نبوية طعنا على الشعر و تهوين مكاتته. فماذا نقول في ردهم. من أسئلتهم: لماذا نزه الله كتابه القرآن الكريم عن الشعر؟ بقوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ (الحاقة: ٤٠-٤١) فهذا يحتمل الغض من قيمة الشعر. و تنزيه القرآن عن أن يكون شعرا، أو أن يكون الرسول شاعرا ليس طعنا على الشعر بأية صورة من الصور، و لا غضا من قيمته، فالأمر لا يخرج عن كونه إقرارا لواقع ثابت لا شك فيه. فالقرآن صورة بيانية فريدة تبعد كل البعد أن تكون شعرا أو سجعا كسجع الكهان، و هما لوانان معروفان عند العرب في الجاهلية، و كان المشركون من العرب يريدون التهوين من شأن معجزة الرسول فيصفون القرآن بالشعر، و لهذا جاءت الآيات كلها في نفى أن يكون القرآن شعرا... ردا على افتراءاتهم، و لهذا هذه الآيات مكية للدلالة على نزولها في وقت المعارضة الشديدة من جانب قريش. (هدارة، ١٩٩٥م، ص ٧٤)

و يقول هؤلاء لو كان للشعر قيمة و منزلة سامية فلماذا قال الله في شأن رسوله: ﴿وما علمنه الشعر و ما ينبغي له...﴾ (يس: ٦٩).

أجاب ابن رشيق القيرواني عن هذا السؤال إجابة صحيحة قائلا: (إن العرب نسبوا النبي (ص) إلى الشعر لما غلبوا، و تبين عجزهم، فقالوا: هو شاعر، لما في قلوبهم من هيبة الشعر و فخامته، و أنه يقع منه ما لا يلحق» و يتابع قوله: «و لو أن كون النبي (ص) غير شاعر غَضَّ [الغض: النقص من القدر] من الشعر، لكانت أميته غضا من الكتابة». و قال الزهري: معنى الآية: «ما الذي علمناه شعرا و ما ينبغي له أن يُبلغ عنا شعرا». و قال غيره: أراد: «و ما ينبغي له أن يبلغ عنا ما لم نعلمه، أي: ليس هو ممن يفعل ذلك؛ لأماتته و مشهور صدقه». (القيرواني، ٢٠٠١م، ج ١، صص ١٨-١٩)

فهي رد قاطع على قول العرب أهل مكة: إن القرآن شعر أو سحر أو من عمل الكهان، و إن محمداً شاعر، قاصدين بذلك إبطال صفة الوحي به من عند الله، و تكذيب خاصة الرسالة (الزحيلي، ٢٠٠٥م، ج ١٢، ص ٥٢) ألم نَرَأَنَّ أَنَّ اللَّهَ خَتَمَ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ: ﴿... إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾

و قال السيوطى فى كتابه «المزهر»: نزه الله تعالى نبهه عن الشعر «لأن للشعر شرائط لا يسمى الإنسان بغيرها شاعراً، وذلك أن إنساناً لو عمل كلاماً مستقيماً موزوناً، يتحرى فيه الصدق من غير أن يفرط، أو يتعدى، أو يمين، أو يأتى فيه بأشياء لا يمكن كونها بئته لما سماه الناس شاعراً، و لكان ما يقوله مخسولاً ساقطاً». (السيوطى، لاتا، ج ٢، ص ٤٦٩-٤٧٠)

والاحتجاج على تهوين منزلة الشعر و الشعراء بهذه الآيات: «والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم ترأنهم فى كل وادٍ يهيمون و أنهم يقولون ما لا يفعلون» [الشعراء: ٢٢٤-٢٢٦] خطأ و سوء تأويل، لأن المقصود بهذا النص شعراء المشركين الذين تناولوا رسول الله (ص) بالهجاء و مسؤه بالأذى. فأما من سواهم من المؤمنين فغير داخل فى شىء من ذلك. (القيروانى، ٢٠٠١م، ج ١، ص ٣٢؛ والدمشقى، ١٩٩٩م، ج ٨، ص ٢٣٥)

ألا تسمع كيف استثناهم الله عزوجل، و نبه عليهم، فقال: «إلا الذين ءامنوا و عملوا الصالحات و ذكروا الله كثيراً و انتصروا من بعد ما ظلموا...» [الشعراء: ٢٢٧]

لما نزلت: «والشعراء يتبعهم الغاؤون» جاء حسان بن ثابت و عبدالله بن رواحة، و كعب بن مالك إلى رسول الله (ص) و هم يبكون فقالوا: قد علم الله حين أنزل هذه الآية أننا شعراء، فتلا النبى (ص): «إلا الذين ءامنوا و عملوا الصالحات...». قال «أنتم». «... و ذكروا الله كثيراً...» قال أنتم، «و انتصروا من بعد ما ظلموا...» قال أنتم. (الدمشقى، ١٩٩٩م، ج ٦، ص ٢٣٧-٢٣٨)

و أما قوله - عليه الصلاة والسلام - : «لأن يمتلى جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير له من أن يمتلى شعراً» (مسلم، ١٩٩٥م، ص ١٦؛ البخارى، ١٣٧٥ هـ. ش، ص ٢٢٢؛ العسقلانى، لاتا، ج ١٣، ص ٦٨٤)

فانما هو فيمن غلب الشعر على قلبه، و ملك نفسه حتى شغله عن دينه و إقامة فروضه، و منعه من ذكر الله تعالى و تلاوة القرآن، و الشعر و غيره مما جرى هذا المجرى من شطرنج و غيره سواء (القيروانى، ٢٠٠١م، ج ١، ص ٣٣). و الحق أن الإسلام لم يرد العرب و غيرهم عن الشعر و نظمه، و لم يثبط عنه إلا حين وقف معارضا لدعوته، أما بعد



ذلك فقد كان يرتضيه و يستحسنه. و قد مضى الخلفاء الراشدون مهتدين بهدى الإسلام يرددون الشعر على ألسنتهم. قال محمد بن سلام: «كان عمر بن الخطاب لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر». (الجاحظ، لاتا، ج ١، ص ١٦٤) و قد أنشد الشعر كثير من الخلفاء الراشدين والجلّة من الصحابة، والتابعين، والفقهاء المشهورين، فمن أراد الاطلاع على أشعارهم و أقوالهم في فضل الشعر فليراجع التاريخ والأدب والسيرة النبوية لا سيما كتاب «السيرة النبوية» لابن هشام و كتاب «العمدة في محاسن العشر و آدابه» لأبي الحسن بن رشيق القيرواني.

و كان لبعضهم ديوان من الشعر مثل الإمام الشافعي - رحمة الله - كما نسبوا ديوانا للإمام علي (ع).

من أشعار الإمام علي يوم صفين» (القيرواني، ٢٠٠١م، ج ١، ص ٣٧)

لمن رايةً سوداء يخفق ظلُّها إذا قلتُ قدّمها حُضينُ تقدّمًا
فيوردُها في الصفِّ حتى يردّها حياضُ المنايا تقطر الموتَ والدّمًا

و من أشعار الإمام الشافعي: (الشافعي، ٢٠٠٠م، صص ١١١-١١٢)

دع الأيام تفعل ما تشاء و طب نفسا إذا حكم القضاء
ولا تجزع لحادثة الليالي فما لحوادث الدنيا بقاء
وكن رجلا على الأهوال جلدا و شيمتك السماحة والوفاء
وإن كثرت عيوبك في البرايا و سرّك أن يكون لها غطاء
تستتر بالسّخاء فكلُّ عيبٍ يُعطيهِ كما قيلَ السّخاءُ
يغطّي بالسّماحة كل عيبٍ وكم عيب يغطيهِ السّخاءُ

النتيجة

تبين لنا هذه الشواهد و غيرها أن الشعر ليس حراما و لا مكروها من حيث هو شعر، و أن الإسلام لم يرفض الشعر و لم يعض من قيمته، بل رفع شأنه إن كانت فيه فائدة و لم يخالف مقاصد هذا الدين. ولكن دعا إلى التزام قواعد أخلاقية فيه. و تنزيه القرآن أن



يكون شعرا أو أن يكون الرسول شاعرا ليس طعنا على الشعر و لا غضا من قيمته بل رد على افتراءات المشركين الذين يريدون التهوين من شأن معجزة الرسول فيصفون القرآن بالشعر، و لهذا جميع هذه الآيات مكية للدلالة على نزولها فى وقت المعارضة الشديدة من جانب قريش. فلو كان الشعر حراما أو مكروها ما اتخذ النبى (ص) شعراء يشبههم على الشعر و يأمرهم على إنشاده و يسمعه منهم. والله أعلم بالصواب.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن حنبل، أحمد. لاتا. مسند الإمام أحمد بن حنبل. بيروت: دار الفكر.

ابن عبد ربه. ١٩٨٣م. العقد الفريد. تحقيق عبد الحمدي الترحيني. ط ١. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن قتيبة. ٢٠٠٣م. الشعر والشعراء. تحقيق و شرح أحمد محمد شاكر. القاهرة: دار الحديث. البخارى. ١٣٧٥ هـ. ش. الأدب المفرد. تحقيق و تعليق محمد فؤاد عبد الباقي. القاهرة: المطبعة السلفية و مكتبتها.

الترمذى. لاتا. سنن الترمذى. تحقيق ناصر الدين الألبانى. ط ١. الرياض: مكتبة المعارف. الجاحظ، عمرو بن بحر. لاتا. البيان والتبيين. بيروت: دار إحياء التراث العربى. دمشق، ابن كثير. ١٩٩٩م. تفسير القرآن العظيم. ط ١. الشارقة: دار الفتح. الزحيلي، وهبة. ٢٠٠٥م. التفسير المنير. دمشق: دار الفكر.

السيوطى، جلال الدين. لاتا. المزهر فى علوم اللغة. بيروت: دار الفكر. الشافعى، محمد بن ادريس. ٢٠٠٠م. الديوان. جمع و شرح محمد عبدالرحيم. بيروت: دار الفكر.

العسقلانى، ابن حجر. لاتا. الإصابة فى تمييز الصحابة. بيروت: لاتا.

العسقلانى، ابن حجر. لاتا. فتح البارى بشرح صحيح البخارى. تحقيق سيد الجلىمى و ايمن دمشقى. ط ١. القاهرة: دار أبى حيان.



القرشي، أبوزيد. ٢٠٠٣م. *جمهرة أشعار العرب*. شرح على فاعور. ط ٣. بيروت: دارالكتب العلمية.

القيرواني، ابن رشيق. ٢٠٠١م. *العمدة في محاسن الشعر وآدابه*. تحقيق محمد أحمد عطا. ط ١. بيروت: دارالكتب العلمية.

مسلم. ١٩٩٥م. *صحيح مسلم بشرح النووي*. تحقيق عصام الصبايطي. ط ١. القاهرة: دار أبي حيان.

هدارة، محمد مصطفى. ١٩٩٥م. *الشعر في صدر الإسلام والعصر الأموي*. بيروت: دار النهضة العربية.

